١٨

من أقاصيص الطبيعة

سَفينَةُ الصَّحْرَاء

MEDLEVANT  ميدليفانت



ما هي أقاصيص الطبيعة ؟
وكيف نفيد منها الفائدة المرجوّة ؟

هذه سلسلة من الكُتَيِّبات العلمية المتكاملة ، أعدّت خصيصاً للأطفال ما بين السابعة والثانية عشرة من العمر ، وغايتُها تقديم المادّة العلمية إليهم بلُغةٍ قَصَصِيَّة شيِّقة ، مشفوعة برسوم ملوّنة جميلة ؛ مما يحبّب إليهم هذه المادة العلمية ، ويجعلهم يتقبّلونها بقَبول حَسَن . .

ونتناول هذه السلسلة علومَ الحياة والعلومَ الطبيعية العامة ، بحيث تؤلف ، شيئاً فشيئاً ، مكتبةً للطفل غنيّةً ، يتعلّم فيها بكل يُسْرٍ خصائصَ صُنوفٍ من الحيوان والنبات ، وغير ذلك مما هو مسخَّر للبشر من طاقات الطبيعة ، وفوائدها جميعاً للانسان .

كما تقصد هذه السلسلة كذلك إلى إغناء لغة الطفل ، بحيث يبلغ نهاية السلسلة وقد اكتسب أكثر من ألفَيْ كلمة جديدة تعبّر عن خمسمئة فكرة أو مفهوم على الأقلّ ، وبذلك يزداد رصيده اللغوي والفكري ويتعمّق .

يقصّ كل كتاب على الطفل قصَّةَ حيٍّ من الأحياء ، أو مظهر من مظاهر الطبيعة ، بأسلوب محبّب جذّاب ، ثم ينتهي بصفحة أو صفحتين تحويان نصاً علمياً بحتاً عن موضوع الكتيّب نفسه ، موجهاً إلى أولياء الطفل ومعلّميه ، كما تحويان تفسيراً موجزاً لأهم الكلمات أو العبارات الغريبة .

ولا يتمّ التوصّل إلى الفائدة المرجوّة من السلسلة ، إلا بمعونة الأولياء أو المعلّمين ، وذلك بإقامة حوار مع الطفل بعد قراءته للقصة . ويتناول هذا الحوار الإجابة على أسئلة الطفل التي ستكون — بلا شك — كثيرة متعدّدة ، بالاضافة إلى توجيه أسئلة للطفل للتأكد من تعلّم الطفل للمفردات والأفكار الجديدة ، والتحقّق من استيعابه للمعلومات العلمية التي تلخّصها الأسئلة المدرجة في نهاية الكرّاس العملي .

وبهذا التكامل يكون الطفل في أواخر مرحلته الابتدائية من التعليم وأوائل مرحلته الإعدادية ، قد استوعب جزءاً مهماً من المادة العلمية التي يدرسها في مقررات العلوم العامة وعلوم الأحياء .

راجع النص: الدكتور محمد هيثم الخياط
Edited by: M.H. Khayat
Author: M. Dawson
Illustrator: D. Casoni

ISBN 88 - 7674 - 059 - 7

Corso Elvezia 4
CH - 6900 Lugano, Switzerland

First published 1983 الطبعة الأولى
Reprinted 1985 الطبعة الثانية
Reprinted 1986 الطبعة الثالثة

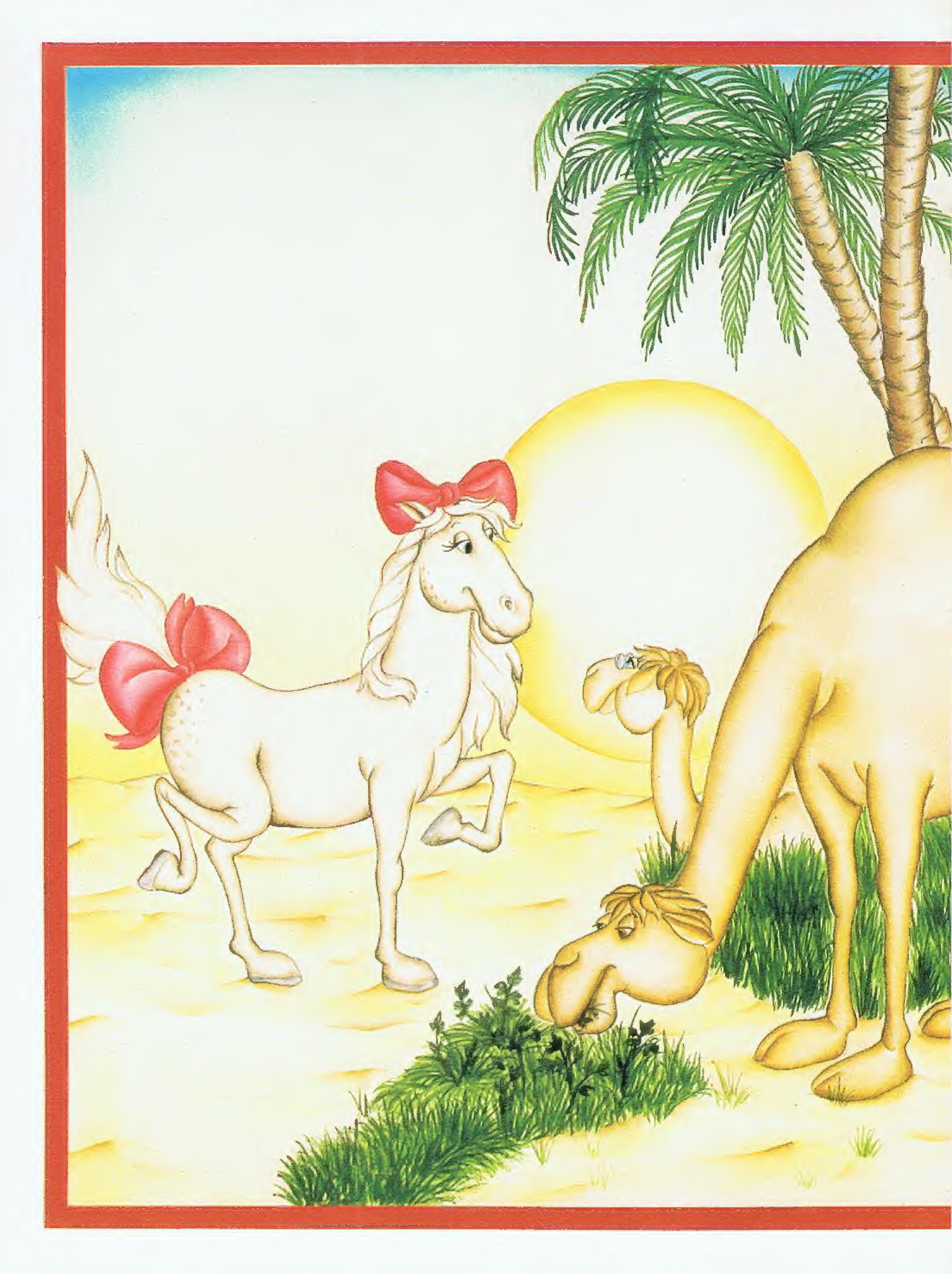
سَفِينَةُ الصَّحْرَاء





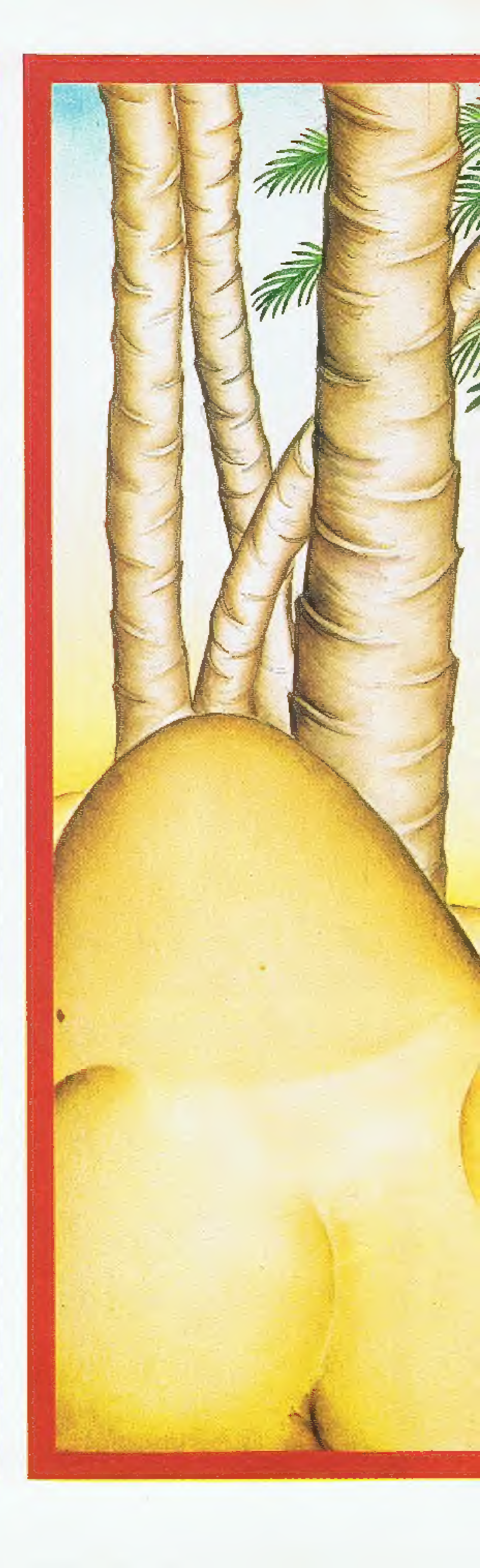
ذَاتَ يَوْمٍ قَائِظٍ شَدِيدِ الحَرِّ، وَقَفَ الجَمَلُ صَابِرٌ يَلُوكُ بَعْضَ النَّبَاتَاتِ الشَّائِكَةِ الَّتِي تُحِبُّهَا الإِبِلُ.. وَفِي ظِلِّ نَخْلَةٍ بَرَكَ الجَمَلُ العَجُوزُ الحَكِيمُ أَبُو أَيُّوبَ وَرَاحَ يَتَأَمَّلُ الصَّحْرَاءَ المُمْتَدَّةَ مِنْ حَوْلِهِ بِهُدُوءٍ.

وَحْدَهَا المُهْرَةُ الفَتِيَّةُ الشَّابَّةُ دَاحِسُ كانَتْ تَشْعُرُ بِالنَّشَاطِ وَالمَرَحِ، وَكَانَتْ فَخُورَةً بِشَرِيطَتَيْهَا الحَمْرَاوَيْنِ، وَهِيَ تَخْتَالُ لِتَلْفِتَ إِلَيْهَا الأَنْظَارَ..





تبَخْتَرتْ دَاحِس أَمَامَ صَابِرٍ وَهِي تَقُوْلُ : « كَمْ تَبْدُو مُضْحِكاً وَأَنْتَ تَمْضَغُ هٰذِهِ الأَشْوَاكَ اليَابِسَةَ ! أَمَا كُنْتَ تَتَمَنَّىٰ لَوْ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ فَرَساً جَمِيلاً مِثْلِي .. مِنَ العَادِيَاتِ ضَبْحَاً فَالمُوْرِيَاتِ قَدْحاً .. بَدَلَ أَنْ تَكُونَ بَعِيراً قَبِيحاً سَمِجاً ؟ » ثُمَّ تَولَّتْ عَنْهُ مُبْتَعِدَةً ، وَهِيَ تُحَرِّكُ ذَيْلَهَا بِخُيَلَاء !

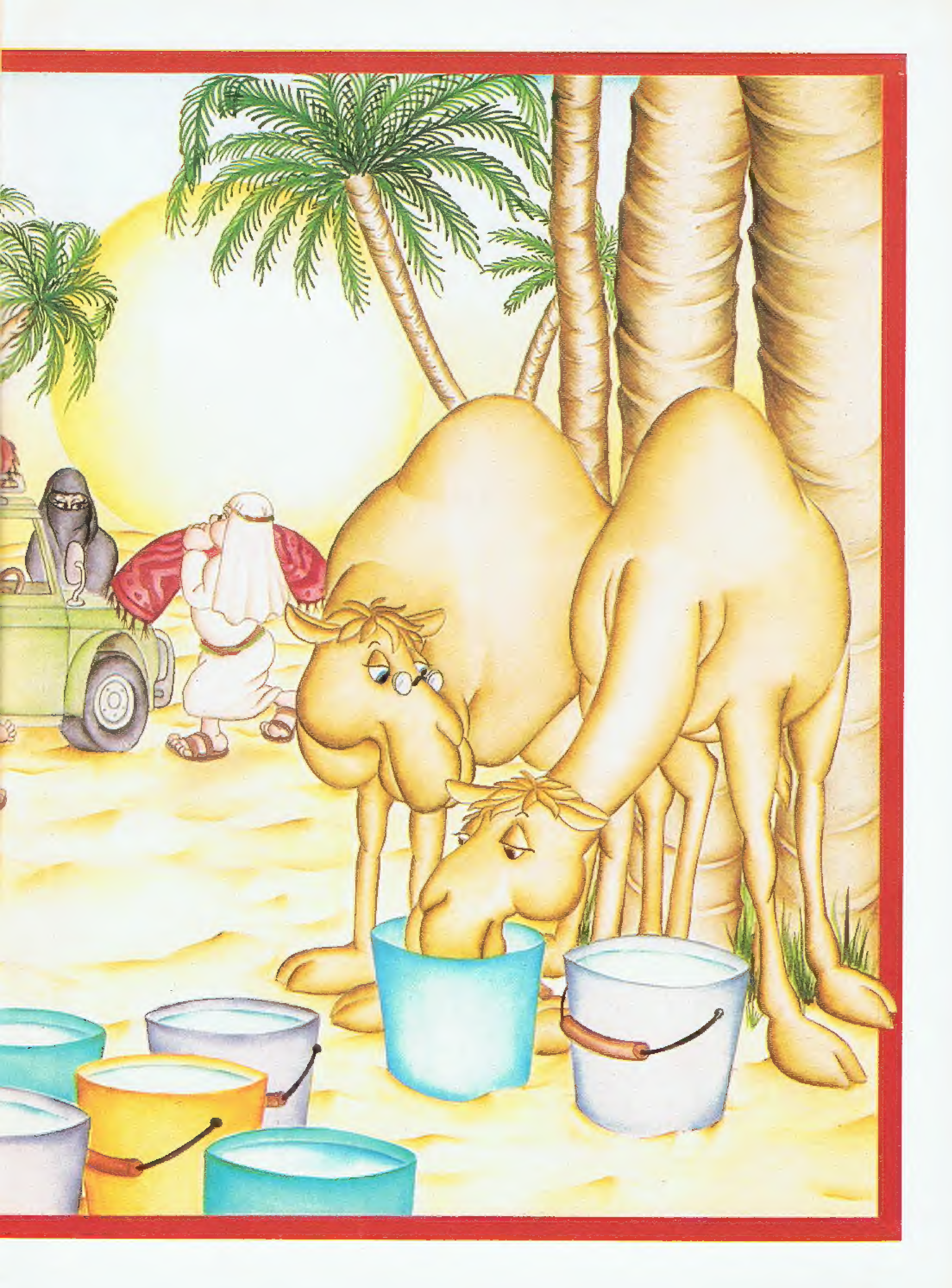




قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: «لَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهَا ياصَابِرُ.. فَهِيَ مَازَالَتْ غِرَّةً جَاهِلَةً، وَاللهُ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً!» فَأَجَابَهُ صَابِرٌ: «يَالَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوْتِيَ الحِصَانُ إِنَّهُ لَذُوْ حَظٍّ عَظِيمٍ!»



ثُمَّ نَظَرَ إِلىٰ نَفْسِهِ في المَاءِ وَقَالَ: «إِنَّ دَاحِسَ لَعَلىٰ حَقٍّ في ما تَقُولُ فَأَنَا قَبِيحٌ حَقّاً بِهٰذِهِ الحَدَبَةِ المُضْحِكَةِ عَلىٰ ظَهْرِي، وَهٰذِهِ الثَفِنَاتِ القَاسِيَةِ على رُكْبَتَيَّ، وَهٰذِهِ القَوَائِمِ الَّتِي لَا تُسَاعِدُنِي عَلىٰ مُسَابَقَةِ الخَيْلِ..»

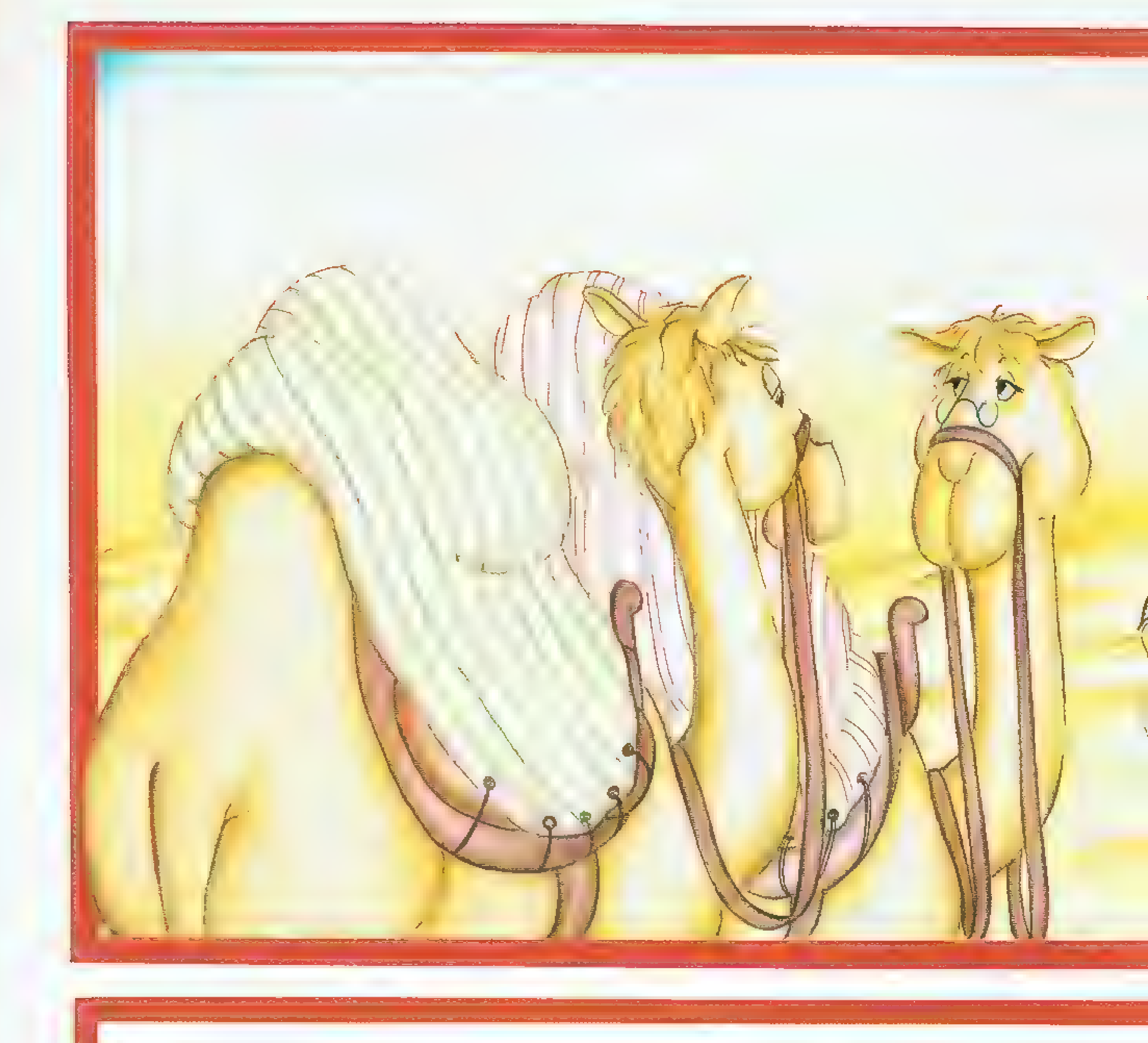


أَفَاقَ صَابِرٌ صَبَاحَ الغَدِ لِيَجِدَ أَصْحَابَهُ مَشْغُولِيْنَ بالاستِعْدَادِ لِلسَّفَرِ في الصَّحْرَاءِ، قَاصِدِيْنَ سُوْقاً بَعِيدَةً قُرْبَ إِحْدَىٰ الوَاحَاتِ.. وَقَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: «اِشْرَبْ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ المَاءِ يا صَابِرُ.. فَالمَاءُ الكَثِيرُ الَّذِي سَتَعُبُّ مِنْهُ سَوْفَ يَقِيْكَ العَطَشَ طَوَالَ هٰذِهِ الرِّحْلَةِ الشَّاقَّةِ.. وَهٰذا الشَّحْمُ المَخْزُونُ في سَنَامِكَ أَوْ حَدَبَتِكَ الَّتِي لا تُعْجِبُكَ.. سَيَكْفِيكَ لِلْعَيْشِ لَيَالِيَ وَأَيَّاماً بِلَا طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ!»

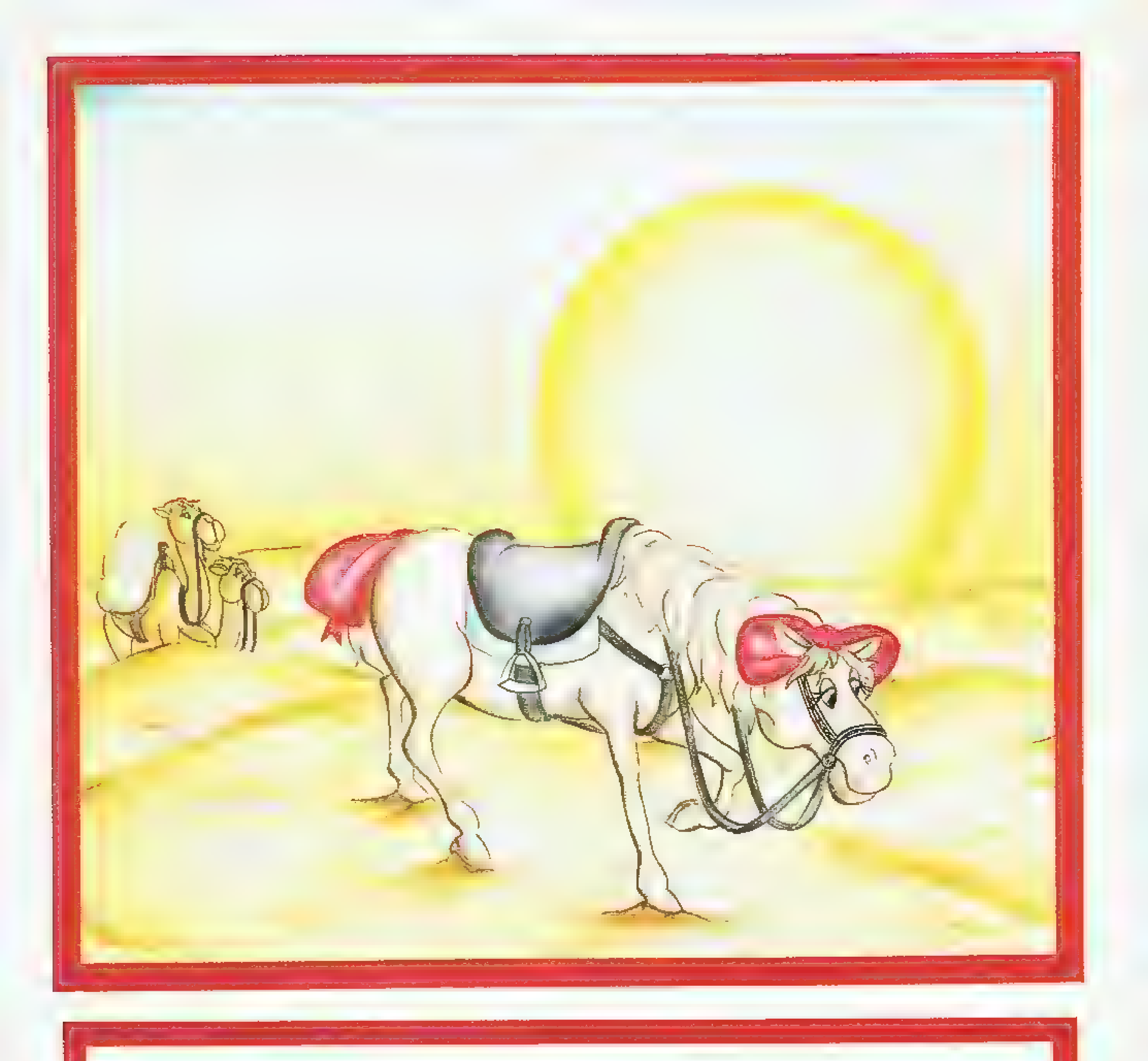




وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيْرُ مَرَّتْ دَاحِسُ بِصَابِرٍ تُوَدِّعُهُ.. قَائِلَةً: «إلى اللِّقَاءِ أَيُّهَا الكَسْلانُ.. سَتَبْقَى يَا صَابِرُ في ذَيْلِ القَافِلَةِ مَا حَيِيْتَ!» ثُمَّ عَدَتْ وَهِيَ تُثِيرُ النَّقْعَ، لِتَتَوَسَّطَ جَمْعَ القَافِلَةِ..



قَالَ أَبُو أَيُّوبَ: «لَا تَجْزَعْ ياصَغِيرِي وَاصْبِرْ! فَالسَّبْقُ لَيْسَ دَوْماً مِنْ نَصِيبِ الأَسْرَع.. وَالعَاقِبَةُ لِلصَّابِرِينَ.. إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ!»



إِرْتَفَعَتِ الشَّمْسُ في السَّمَـاءِ.. واشْتَدَّتْ لَفْحَةُ الرَّمْضَاءِ.. وَأَخذَ نَشَاطُ دَاحِس يَفْتُرُ وَقُوَاهَا تَخُوْرُ شَيْئاً فَشَيْئاً.. كانَ القَيْظُ لاهِباً، وَكَانَتْ تَشْعُرُ بِظَمَإٍ شَدِيدٍ.. وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا في عَيْنَيْها..

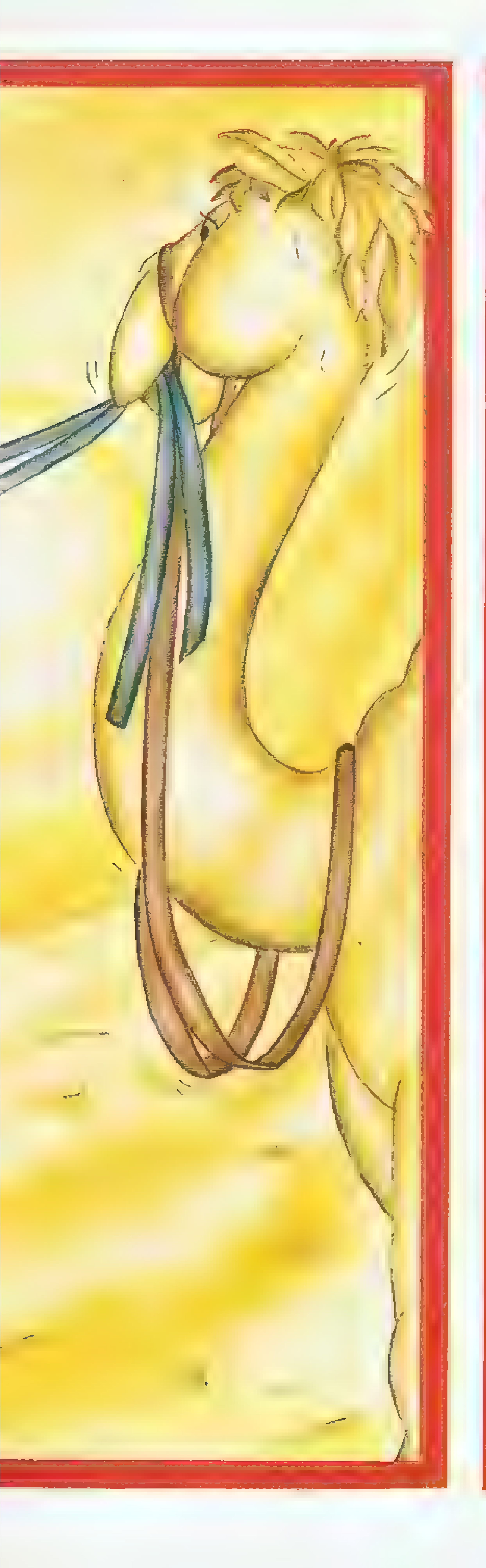


ثُمَّ جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ تُثِيرُ الرِّمَالَ وَتَذْرُو العَجَاجَ، وَعَجَزَتِ المُهْرَةُ المِسْكِينَةُ عَنْ رُؤْيَةِ أَيِّ شَيْءٍ أَمَامَهَا.. وَمَلأَتِ الرِّمَالُ عَيْنَيْهَا وَأُذُنَيْهَا وَأَنْفَهَا.. وَظَنَّتْ أَنَّهَا أُحِيطَ بِهَا..



وَبَيْنَمَا كانَ صَابِرٌ وَأَبُو أَيُّوبَ يَشُقَّانِ طَرِيقَهُمَا في ثَبَاتٍ خِلالَ عَاصِفَةِ الرَّمْلِ، بَصُرَا بِجِسْمٍ قَاتِمٍ دُفِنَ مُعْظَمُهُ في الرِّمَالِ..
«رَبَّاهُ.. إِنَّهَا دَاحِسُ!» صَاحَتْ بِهِ وَهِيَ تَنْتَحِبُ:
«رُحْمَاكَ يا صَابِرُ.. أَغِثْنِي.. فَأَنَا لا أَسْتَطِيعُ مُتَابَعَةَ السَّيْرِ.. إِنَّ قَوَائِمِي لَتَغُوصُ في الرِّمَالِ حَتَّى لَكَأَنَّ الأَرْضَ قَدْ خُسِفَتْ بِي!»





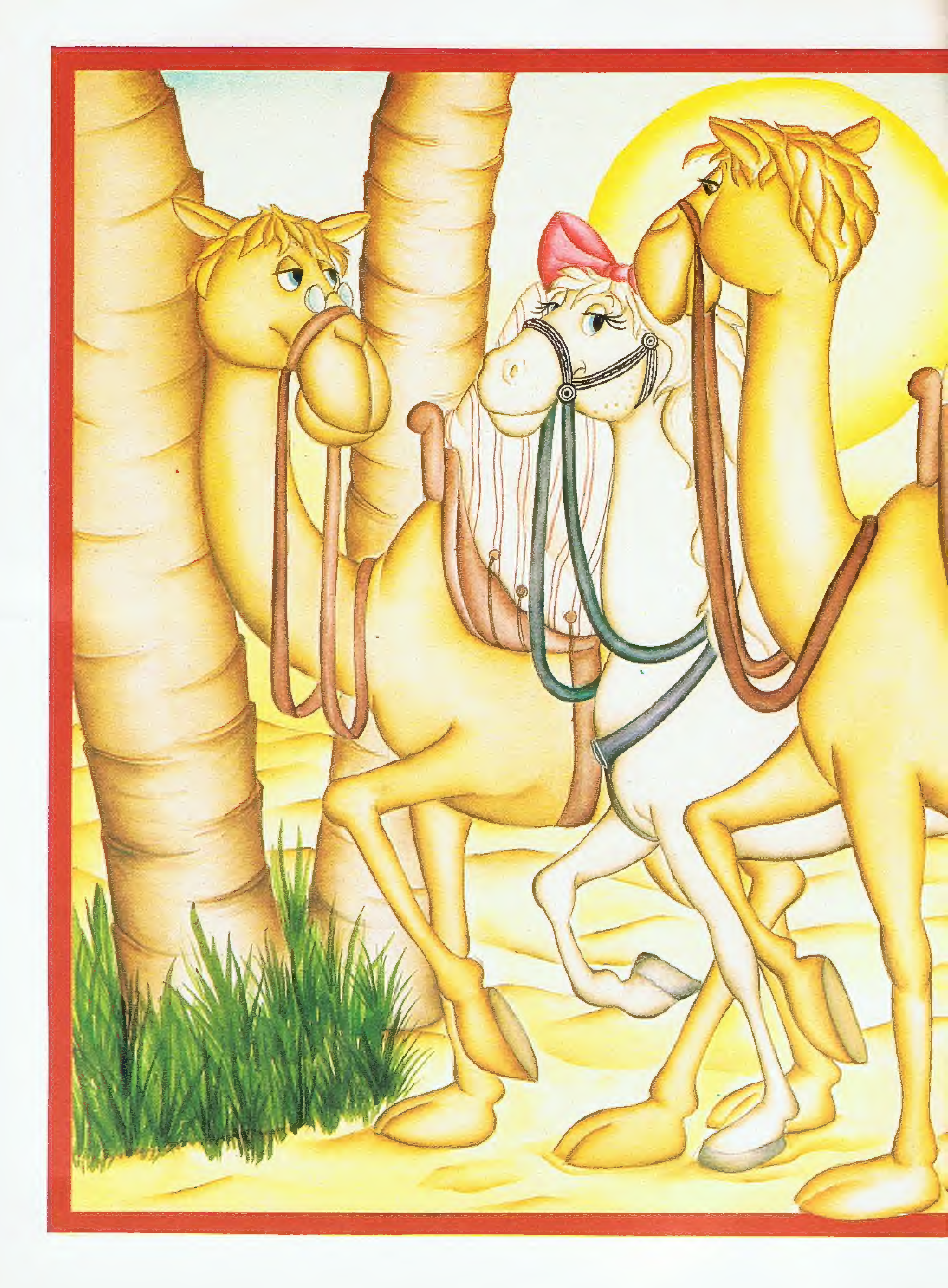
وَأَصْبَحَ الَّذِي تَمَنَّىٰ مَكَانَهَا بِالأَمْسِ يَقُولُ: «لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا .. وَيْ! كَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُتَكَبِّرُون!» ثُمَّ قَبَضَ عَلَىٰ لِجَامِهَا بِفَمِهِ وَشَدَّهَا إِلَىٰ أَعْلَىٰ فَأَنْهَضَهَا، ثُمَّ سَارَ أَمَامَهَا يَقِيهَا بِجِسْمِهِ مِنْ ضَرَبَاتِ عَاصِفَةِ الرَّمْلِ ..

قَالَ لَهُ أَبُو أَيُّوبَ: «اِحْمَدْ رَبَّكَ يَا فَتَىٰ .. فَقَدْ خَلَقَ عَيْنَيْكَ وَأَنْفَكَ بِحَيْثُ لَا تُؤْذِيهِمَا الرِّمَالُ ... وَأَخْفَافَكَ بِحَيْثُ تَقِي جِسْمَكَ مِنْ أَنْ يَغُوصَ فِي الرَّغَامِ»





وَصَلَتِ القَافِلَةُ أَخِيراً إِلىٰ الوَاحَةِ .. وَكَانَتْ دَاحِسُ تَشْعُرُ بالامْتِنَانِ الكَبِيرِ لِصَابِرٍ .. وَقَالَتْ لَهُ وَهِي خَجِلَةٌ : «لَنْ يُصِيبَنِي الغُرُورُ بَعْدَ اليَوْمِ .. وَلَنْ أَسْخَرَ مِنْ أَحَدٍ أبداً» .. وَانْتَهَزَ أَبُو أَيُّوبَ هٰذِهِ الفُرْصَةَ فَأَخَذَ يُفِيدُهُمَا مِنْ حِكْمَتِهِ وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ : «وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ علىٰ بَعْضٍ .. فَقَدْ أَسْبَغَ عَلىٰ كُلٍّ مِنّا مِنْ نِعْمَتِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَه !»



سَفِينَةُ الصَّحْرَاء

هنالك نوعان من الجمال: الجَمَل ذو السنامَين، والجمل ذو السنام الواحد أو الجمل العربي. والجمل العربي أكبر وله قوائم أطول، ويلائمه العيش في الأقاليم الحارة. وكان قد دُجِّنَ في الجزيرة العربية قبل الميلاد بحوالي ألِف وثمانمئة سنة وربما قبل ذلك. وبعد الميلاد بمئتي سنة انتشر في شمال أفريقية وحوض النيل والهند، وأثبت أنه أفضل وسيلة للانتقال سواء بالنسبة للانسان أو البضائع في الصحراء.

تعيش الجمال ذات السنامين في صحارىٰ آسية الوسطىٰ، يسترها شعر طويل أسمر يَقيها برد الشتاء القارس. ويبلغ ارتفاعها حوالي المترين من الأرض، حتىٰ أعلى السنام، وهو ارتفاع لا يتجاوز مستوى كتف الجمل العربي.

أما الجمال الوحيدة التي يمكن أن يقال عنها أنها وحشيةٌ حقاً هي الجمال ذات السنامين في صحراء غوبي. وهنالك جمال وحيدة السنام تعيش عيشة وحشية، ولكنها آبدة أي إنها جمال مُدَجَّنة هربت وعاشت في البراري. وقد كان الجمل موجوداً أيضاً في أمريكة الشمالية، ولكنه إختفىٰ منها منذ مليوني عام. ولم يَبْقَ من أقربائه الأحياء حتىٰ الآن إلا اللامة والألبَقَة في أمريكة الجنوبية.

والجمل مؤهل للحياة في الصحراء. فَلِخُفِّهِ إصبعان متصلتان معاً من الأسفل بوسادة طمية واسعة تحميه من الغَوْص في الرمال. وعيناه ومنخراه مَحْمِيَّان بسَدائل من الجلد عندما تهب العواصف. والأهم من كل ذلك أنه يمكن العيش مدةً طويلةً دونَ ماء.

وقد لَفَت الله سبحانه الأنظار منذ القديم إلى تَفَرُّد الجمل في خصائصه فقال: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ!» وقد أظهرت الدراسات العلمية الحديثة بعضاً من أسرار خِلْقة البعير. فقد تبيّن أن في أنف الجمل متاهات طويلة وتلافيف دقيقة، تؤلف جهازاً من أجهزة التيار العكسي التي تخفّف ضياع الماء بالتنفّس نظراً إلى أنها تدفىء الهواء الداخل بالتدريج ثم تستردّ تدفئتها منه وهو خارج مما يؤدي إلى تكاثف جزء مهم مما يحمله من رطوبة. ثم إن في تلافيف الأنف جهازاً ماصاً للرطوبة بشدّة، يقوم بترطيب الهواء وهو داخلٌ من خلال الأنف، ولكنه يستَرِدُّ منه جُلَّ ما يحمله من رطوبة وهو خارج. وبهاتَيْن الآليتين يخفّف الجمل كثيراً من ضياع الماء منه مع الهواء الذي يتنفّسه.

ثم إن الجمل يدّخر في سنامه كميات هائلة من المواد الدهنية التي تتألّف كما نعلم من الأُكْسِجين والهدرجين والكَرْبون. وهذه المدخرات عندما تتفكّك يتحوّل ما فيها من هدرجين إلى ماء بفضل الأكسجين الآتي بالتنفّس. وبذلك تكون شحميّات سنام الجمل مصدراً مهماً من مصادر الماء فيه.

وللجمل طريقة أخرى للمحافظة على الماء. ذلك أن بوله كثير التركيز قليل الماء. وهو لا يتعرّق إلا قليلاًجداً. هذا مع أن في مقدوره أن يفقد ثُلُث وزنه من الماء دون أي تأثير ضار، في حين أن الإنسان إذا خَسِرَ عُشْر وزنه من الماء، فإنه يتعرّض إلى خطر الموت. وبإمكان الجمل أن يجترّ طوال النهار دون أن يشرب. والواقع أنه يحصل في الشتاء على حاجته من الماء من نُسُغ النباتات التي يأكلها. ولكنه عندما يحتاج إلى شرب الماء، فإن في مقدوره أن يشرب مئة لتر في غضون بضع دقائق. وهذا رقم قياسي لا يجاريه فيه أي مخلوق.

والجمال لا تسافر بسرعة. ولكنها تحافظ على سرعة عشرة كيلو مترات في الساعة ساعات طِوالاً. ويمكنها أن تعدو خَبَباً مسافات قصيرة. ومهما يكن من أمر، فإذا تركت الجمال تطوي البِيْدَ بالسرعة التي تريدها، فيمكنها أن تحمل أحمالاً ثقيلة جداً. لمسافات شاسعة فوق أراضٍ وفي مناخ لا يستطيع أي حيوان آخر أن يتحملها. وسائق الأظعان الخبير يترك قافلته لتأخذ طريقها خلال الصحراء، فتسير في الليل والصباح الباكر، بلا عَجَل. ذلك أن الجمل أَخْبَر مِنْ سِوَاه بما ينبغي أن يفعل.

غريبُ المفردات

قـائــظ : شديد الحر
العادِيَـات : الجاريات
ضَبْحـاً : الضَبْح صوت الخيل عند الجري
المُوريات قَدْحاً : اللَوَاتي تَقْدَحن الشرر بحَوَافرهنّ
غِـرَّة : قليلة الخبرة
مختـالاً : المتكبّر المُتَبَخْتِر
الثَفِنـات : مناطق جلديّة غليظة مثل رُكْبَة الجمل
ستعُبُ : ستَجْرع الماء وَتكْرَعه
فَصَلَت العيـر : ابتعدت عن البلد
النَقْـع : الغُبـار
الرَمْضـاء : شدة الحر، والأرض الشديدة الحر
العَجَـاج : الغُبـار
أحيـط بهـا : اقترب هلاكُها
خُسِفَت : انشقّت الأرض وابتلعتها
مَـنَّ : أنْعَمَ
أخفَافُـك : جمع خفّ وهو أسفل رِجْل البعير
الـرغـام : الرمل الناعم المختلط بالتراب
الـواحـة : حديقة في قلب الصحراء
الامتنـان : الشكر والعِرْفان
الغـرور : التكبّـر بالباطـل
أسخـر : أهـزأ
أسبـغ : أتَمّ و أوْلى

ISBN 88 - 7674 - 059 - 7

